SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.5 No.2 2024
eISSN 2716-5515 (39-59)

اللون ودلالته في شعر ابن الحداد الاندلسي
Color And Its Significance in The Poetry Of ibn Al-Haddad Al-Andalusi

Ban Kadhim Makki Alsammarraie[1*], Mohammed Hussein Tawfiq Al-Aboud [2]
[1, 2] College of Education for Women, Iraqia University, Iraq
Corresponding Author: ban.alsammarraie@aliraqia.edu.iq

Received: 21 July 2024, Revised: 1 Aug. 2024, Accepted: 21 Aug. 2024, Published: 31 Dec. 2024

To Cite this Article (APA): Alsammarraie, B. K. M., & Tawfiq Al-Aboud, M. H. (2024). اللون ودلالته في شعر ابن الحداد الاندلسي: Color and Its Significance in The Poetry of ibn Al-Haddad Al-Andalusi. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *5*(2), 39–59. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol5.2.3.2024

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol5.2.3.2024

ملخص

شغل موضوع اللون مختلف الدراسات العربية وغير العربية, العلمية والأدبية, على حد سواء, وتتجلى فاعلية اللون في الشعر العربي على نحوٍ مميز, وذلك لارتباطها بالعواطف والمشاعر, وإنّ إدراك الشعراء لمكانة اللون في نسيج النص الشعري يستدعي الوقوف على إمكانياتهم في توظيف هذا العنصر المهم, بوصفه مرتكزاً رئيسياً في المعجم الشعري الذي يميّز شاعرا عن آخر, ومن بين البيئات العربية الزاخرة بالألوان (بلاد الاندلس) إذ شهدت اتساعاً في الناحية الحضارية والعمرانية, وازدهار الحياة, فضلاً عن طبيعتها الزاهرة بالألوان, فما كان من الشعراء إلا أنْ قيدوا تلك المشاهدات بشعرهم , بما تمتعوا بهِ من خيال خصب, فحملوا المعاني الرمزية التي تنهض بالألوان, من هذا كان اختيار موضوع البحث. تعتمد الدراسة على عدة مرتكزات أبرزها: خصوصية الشاعر، وخصوصية العرض الشعري، وخصوصية اللون، أما الدراسة فكانت من خلال تناول اللون ودلالته في شعر ابن الحداد حيث وقفتُ على طبيعة اللون في الأغراض الشعرية التقليدية من غزل ورثاء ووصف وفخر، وقد جاءت الدراسة في تمهيد عن سيرة الشاعر ابن الحداد الاندلسي، والمبحث الاول دلالة اللون في شعر ابن الحداد الاندلسي، والمبحث الثالث الدراسة الفنية في شعر ابن الحداد الاندلسي، اما خاتمة البحث فقد كانت عن اهم النتائج التي خرجت بها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: اللون، الشعر العربي، العواطف والمشاعر، بلاد الأندلس، ابن الحداد

Abstract
The topic of color has occupied diverse Arabic and non-Arabic studies, both scientific and literary alike. The effectiveness of color in Arabic poetry is particularly notable because it is linked to emotions and feelings. Poets' awareness of the role of color within the fabric of poetic text necessitates examining their ability to employ this significant element, considering it a main pillar in the poetic lexicon that distinguishes one poet from another. Among the rich Arab environments with colors is Andalusia, which witnessed an expansion in civilization and architecture, and the flourishing of life, alongside its naturally vibrant colors. Poets captured these observations in their poetry, with the help of their fertile imagination, conveying symbolic meanings carried by colors, which motivated the choice of this research topic. The study relies on several main pillars, most notably: the individuality of the poet, the specificity of the poetic presentation, and the uniqueness of color. The study covers color and its significance in the poetry of Ibn Al-Haddad, focusing on the nature of color in traditional poetic themes like love, elegy, description, and pride. The research includes an introduction about the biography of Ibn Al-Haddad Al-Andalusi, the first chapter on the significance of color in his poetry, and the third chapter on the artistic study of his work. The conclusion of the research discusses the main findings of the study.
Keywords: Color, Arabic poetry, emotions and feelings, Andalusia, Ibn Al-Haddad

التمهيد: حياة عبد الله بن الحداد الاندلسي

1–اسمه وكنيته ولقبه:

هو "محمد بن احمد بن عثمان ابو عبد الله القيسي (الكتبي,، 1974، صفحة ص283.), وقبيلة قيس قبيلة من مضـر، من العدنانية وهم بنو قيس عيلان (العرب و القلقشـندي), نسـبةً الى " قيس عيلان بن مضـر بن نزار بن معد بن عدنان " ، (يعقوب، 2006، صفحة 59 / ج9)

2– ولادته وموطنه:

تـاريخ ولادة عبدالله بن الحداد مجهولـة لا يعرف عنهـا شـيء، وكذا معـالم طفولتـه وشـبابه، غير وأصـله من الوادي آشـي ، التي أصـبح ينسـب إليها بعد ذلك فيقال له: الوادي آشي، كذلك " ينسب الأديب الشاعر وغيره إلى الإقليم الذي ولد فيه ، إلا أن هذا الإقليم لم يكن الذي ترعرعَ فيه شـاعرنا اسـتوطنه المرية أكثر عمره" (الشـشـتري، 1971، صفحة ص271 /ق1 /م2)

3- تحصيله العلم وتبحره فيه:

كان ابن الحداد نموذجاً فذاً في الثقافة، واسـع العلم، عميق الإدراك، عرف كيف يفيد بذهنه المتوقد الكثير من موروث العرب والإسـلام، فكانت له مشـاركه في علوم العروض، والفلسـفة، والرياضـيات، والفلك، والنحو، والفقه، والتاريخ (الشـشـتري، 1971، صفحة ص703 / ق1 /م2).

5- **وفاته**:

خلّف عبدالله بن الحداد جملة من الآثار الأدبية يقول ابن سعيد في هذا السياق " وديوان شـعره كبير جليل " (المغربي، صـفحة 143 _ 144), ويقول ابن شـاكر الكتبي : " له ديوان كبير وكتاب في العروض " (الكتبي، صـــفحة 243) أما المقري فيقول : " وله في العروض تصنيف مشهور مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية وديوان مرتب على حروف المعجم (المقري، صـــفحة 26 /م7). أما فيما يتعلق بتاريخ وفاة الشاعر عبد الله بن الحداد فتتفق معظم الروايات إن لم نقل جميعها على أنها كانت سنة ثمانين وأربع مائة هجرية 480هـ (الكتبي م.، صفحة ص283 / م3).

دلالة اللون في شعر ابن الحداد الاندلسي

المعجم اللوني:

تكشـف دراســة اللون عند شــاعر عن مدى ذوقه وتأثرهِ بعصــرهِ وبالظروف التي حولـهُ، كما أن التجربـة الانفعاليـة التي يَمرُّ بها الشـــاعر تفرض عليـهِ مجموعـة من الألوان. والدلالـة النـابعـة من أعمـاق نفســـهِ المســـتقرة أو المضـــطربـة تبعاً لتجربتـهِ الشعورية وكل لون له دلالة معينة ، فترى لفظة اللون تتوهج في سياق معين ، ويضفي عليها الشــاعر من روحهِ ومعاناتهِ وتجربتهِ الشــيء الكثير مما يجعلها أكثر التصــاقاً بعالمهِ الشـعري كما أن تكرار لفظ اللون يعينه في ديوانهِ لها دلالة تؤكد مدى إحسـاس الشـــاعر بهذا اللون واقترابهِ من معاناتهِ ، مما دفعهُ إلى أنْ يلتقطها ويكررها ، جاعلاً منها ســمة تمتاز بها أشــعاره ,ومن خلال قراءتي لديوان الشــاعر ابن الحداد وجدت الألوان تختط لنفسها محاور ارتبطت بحالتهِ النفسية .

ومن خلا ل استقراء القصائد في الديوان، ودراسة الألوان دراسة إحصائية، يمكن أن يوضح الجدول التالي الألوان وتكرارها في شعر ابن الحداد:

والجدول التالي يوضح عدد الألوان التي استخدمها الشاعر في شعرهِ :

مـجـمـوعـة الألوان الأساسية	الأبيض	الأحمر	الأزرق	الأخضر	الأسود	الأصفر
	9	2	1	1	1	1
مـجـمـوعـة الألـــــوان الفرعية	الأسمر	بهيم	حالك	وردي	فاحم	البنفسجي
	7	2	1	1	1	1

من خلال الجدول السـابق نسـتنتج أن اللون الأبيض هو اللون الأكثر انتشـاراً في شعر ابن الحداد بينما كان اللون الأصفر هو اللون الأقل استخداماً من بين الألوان

الأساسية، فيما تفوّق استخدام اللون الأسمر من مجموع الألوان الفرعية على اللون الأصفر، وتساوى مع نسبة استخدام اللون الأخضر تقريبا.

أبدع الله الطبيعة فكانت الألوان الملهم الأول لكل إنسان أحب جمالها وشغف بصفائها , فراح يهيم في أغوارها , ويستلقي في أحضانها لتمنحه الراحة والحنان ويناجيها لتغدق عليه الرقة والرهافة , فهي معجزة منفردة , كما أنها هاجس ذاتي عميق استحوذ على نفوس الشعراء , واستحث قرائحهم الشعرية وغذاها أفضل غذاء , فانفعلت نفوسهم بما استشعرت من مظاهر الحسن وفاضت قرائحهم ببديع القول , فأصبحوا يميلون الى تحريك الخيال بألفاظ الألوان ليصوروا ما يوجد في بيئتهم تصويرا رقيقاً يمتد بين الحين والآخر خفقا من حياة ودفقا من عاطفة , ذلك أن " الألوان ليست مدركات بصرية متميزة فقط , بل هي شتيت من الإيحاءات والمعاني المبهمة " (احمد م.، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، 1984، صفحة 220).

في هذا المبحث سنحاول الوقوف على مظاهر الجمال اللونية عند ابن الحداد الاندلسي والكشف عن دلالات اللون وصور استخداماته الإبداعية والرمزية:

اللون الأبيض:

البياض ضد السواد، هو رمز الطهارة والصدق والنقاء وهو عند الشعراء الأكثر استخداماً لأنه يقترن لديهم بالصفاء، والإشراق، ويبعث في نفوسهم الفأل والاستبشار بالطمأنينة، فرأوه على حافة الأرض عندما تنبت، ومداعبة النور للشمس، وتبسم السحاب بالبرق ولهذا كان " اللون الأبيض أسخى الألوان إيحاءً " (احمد م.، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، 1984، صفحة 20)

وفي الاندلس فهو يرمز للكآبة والحزن وهو التجرد بنزيف والتخلص من دنيا الألوان لأنه لون الملائكة، ولون ثياب المؤمنين في الجنة.

وقد استعمل الشاعر ابن الحداد اللون الأبيض في شعره مثل قوله: (الطويل، صفحة 189 / 122)

حُممٌ فوقها من البيض نارٌ كلٌّ مَنْ أُرسلت عليه رمادُ

استخدم الشاعر اللون الأبيض، البيض: بكسر الباء الأبيض هو السيف، وثغور البيض: نصال السيوف، ومعنى البيت أن كتب التاريخ تدون العديد من هزائم أعداء المعتصم في وقائع كانت فيها نصوله تأكل من أجساد أعدائه. ومعنى البيت إذا ما اهتزت السيوف بأكف جند المعتصم سلت أرواح أعدائه، وأن النفط الذي كان يرمي به الأعداء حوّلهم الى رماد. وقوله : (الطويل، صفحة 273)

وكأن مُبْيَضَّ الخُدودِ وضاءةً صَحْنُ له، لا المرمرُ المسنونُ

حيث استخدم الشاعر اللون الأبيض ليصف به خد الحسناوات، حيث شبه الشاعر في البيت صحن القصر وهو يلمع بمرمرة المسنون بخدود الحسان.

اللون الأسود:

دلت على اللون الأسود في اللغة ألفاظ كثيرة تجمع على أنه ضد الجمال وأنه أكثر الألوان عتمه " أسود وأسحم ثم جون وفاحم وحالك وحانك ثم حلكوك وسحكوك ودجوجي ثم غربيب وغدافي وخداري " (الثعالبي ا.، صفحة 103)وهي صفات جعلت منه " رمزا للحزن والألم والموت، وكذلك رمزا للخوف من المجهول والميل الى التكتم، ولكونه سلب اللون يدل على العدمية والفناء " لما يثيره في النفس من أحاسيس منفرة وشعور بالقلق وعدم الوضوح. ولكن هذا لا ينفي وجود دلالات إيجابية توحي بالجمال والحكمة والرزانة والقوة وهي دليل على امتلاك هذا اللون ثنائية رمزية متناقضة عبر عنها ابن الحداد في شعره (عمر، 1997، صفحة 186).

وقد استخدم الشاعر اللون الأسود للدلالة على الحماسة في شعره كقوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 250).

اقدمتَ حيثُ الكماةُ الشوسُ محجمةٌ وجدتَ حيثُ المنايا السودُ تزدحم

حيث استخدم الشاعر اللون الأسود كمدلول معنوي لعظيم المصيبة والهزيمة التي مني بها الأعداء.

اللون الأخضر:

الأخضر من أكثر الألوان استقراراً ووضوحاً في دلالته، فهو لون الخصب والنماء، والتفاؤل بالشباب والحب والأمل، إنه باختصار رمز للحياة. ويبدو أنه استمد معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنبات وبعض الأحجار الكريمة " (عمر، 1997، صفحة 250)

وهو ما جعله لونا دافئا محببا إلى القلوب مبهجا للنفوس مريحا للنظر فهو لون الشرف الإنساني والفرح والوفرة والاستقرار في الدنيا والآخرة. واهتمام الشاعر الأندلسي بهذا اللون كان مرده الى طبيعة بيئته الساحرة التي عاش في أحضانها، فغدا يصف ولعه بها وانبهاره بذلك الاخضرار الذي يبعث في النفس الرغبة في الحياة والاستقرار.

حيث استخدم الشاعر ابن الحداد اللون الأخضر في شعره بشكل مباشر كقوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 200):

وَيْرفُلُ في أزهارهِ واخضرارهِ كما رَفَلَتْ نُعْمَاهُ في حُلَلِ الحمدِ

استخدم الشاعر اللون الأخضر في وصف الطبيعة حيث شبه في هذا البيت انشراح صدر المعتصم عندما يخرج الى الرياض الخضراء والحدائق الغن التي تحيط بذلك النهر ليستريح من عناء الحكم، بانشراح صدره وهو يعطف على الناس ببسط كفه إليهم.

اللون الأحمر:

يعتبر اللون الاحمر من أثرى الألوان دلاله وأكثرها تضارباً نتيجة " لارتباطه بأشياء طبيعية، تثير البهجة والانشراح أو الألم والانقباض " (عمر، 1997، صفحة 211) , مما يعني أنه لون السعادة والحزن والثقة والتردد والحياة والموت , وسبب ذلك تعلقه بأمور مختلفة منها الإيماء الى لون الدم , وارتباطه بلون النار والذهب والأحجار الكريمة , ولون الزهور وغيرها من الأشياء التي جعلته يكتسب سمة جمالية .

فنرى اللون الأحمر بارزا في شعر ابن الحداد الأندلسي حيث استخدم الشاعر اللون الأحمر لوصف محبوبته (نويرة) فقوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 144) :

وفي مَلعب الصُّدْغَيْن أبيضُ ناصعٌ تخلَّلَه للحُسْنِ أحمر قانئ

حيث مزج الشاعر في البيت الشعري بين اللون الأبيض حيث يصف وجه محبوبته (ناصع البياض)، واللون الأحمر حيث تخلله وجنتان شديدتا الاحمرار.

كذلك تحدث الشاعر عن صعوبة الوصول الى محبوبته (نويرة) فيقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 266):

حيث القبابُ الحُمرُ ساميةٌ الذُّرَى وألاعوجياتُ الجيادُ صُفُوْنُ

استخدم الشاعر اللون الأحمر فيصف القباب الحمراء وهنا يتابع الشاعر وصفه وعورة الطريق من أراد الوصول الى دار نويرة.

اللون الأزرق:

يشير الأزرق الى دلالات مختلفة منها الهدوء والسكينة والامتداد والعالم الذي لا يعرف الحدود، كما أن اللون الأزرق هو لون السماء والماء، " وهو لون الهدوء والسلام، وصورة الأرض الملتقطة من الفضاء تبين كره أرضيه زرقاء غامقة ملتفة بسحب بيضاء " (عمر، 1997، صفحة 74).

حيث استخدم ابن الحداد الاندلسي اللون الأزرق في الدلالة على التنعم الخاص للمحبوبة جراء إحساسها بالأمان والرفعة التي حققها والدها الأمير حيث يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 143):

وفي الكِلَّة الزرقاءِ مَكْلُوْءُ عَزَّةَ تحفُّ به زُرْقُ العوالي الكوالئُ

جاء اللون الأزرق في قوله (زرق العوالي) ليدل على الخراب المحيط بفناء البيت، فهي تنام ويحيطها ستر رقيق شفاف صاف أزرق مثقب تحفظ به من الضرر فهي كالظبية في جمالها علاوةً على قيام جيوش الخلافة بحراستها حيث يحملون زرق الأسنة الصافية الشفافة الماضية التي تحيط بها فتحميها من أذية الأعداء الغادرين

اللون البنفسجي:

يجمع اللون البنفسجي بين هدوء اللون الأزرق والطاقة التي يمثلها اللون الأحمر فهو مزيج منهما، ويعتبر اللون البنفسجي لوناً مريحاً وأنيقاً وجميلاً للغاية ويدل على النبل ويرمز للفخامة والقوة والشغف الكبير، كما أن له دلالات على الثروة بالإضافة الى أنه يمثل الحكمة والتفاني والوقار والاحترام.

وقد استعمل الشاعر ابن الحداد اللون البنفسجي في شعره كقوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 299):

وقد أطبقتْ فوق الأقاحي بنفسجاً كما خَمَشَتْ ورداً بِعُنَّابِ سُوسانِ

ذكر الشاعر اللون البنفسجي حيث شبه شفتي محبوبته بالبنفسج، يقول: عضت شفتيها وخمشت خدودها بأناملها المخضوبة وهنا يشبه أسنانها بالأقحوانة، وشفتيها بالبنفسج وأصابعها البيضاء بالسوسن، وأناملها المخضوبة بالعناب، وخدودها بالورد.

اللون الأصفر:

الأصفر أكثر الألوان إضاءة ونورانية، وأشدها فرحاً إنه لون الشمس وله تأثير عميق على النفس لما يثيره فيها من ارتياح وتفاؤل. لذلك كان اللون المفضل للعين، وهو من الألوان الساخنة التي لا توحي بدلالات ثابتة " وذلك لارتباطه بأشياء طبيعية مختلفة كالشمس والذهب والطيب، وبعض الثمار وهي أمور توحي بالخير والجمال والتقديس، ومن جهة ثانية هو مرتبط بالنبات الجاف والمرض الذي يعتري الإنسان وما يصحبه من تغيير في اللون والشحوب ما يجعله رمزا للضعف والانكسار والحزن " (عمر، 1997، صفحة 214 _217)

ذكر الشاعر ابن الحداد الأندلسي اللون الأصفر في عدة أبيات بطريقة غير مباشرة. ومن هذه الأبيات البيت الذي يمدح فيه المعتصم بن صمادح فيقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 216):

فالدهرُ ظلماءُ والمعصومُ نورُ هُدىً يُضيء والشمسُ في أنوارها تضأُ

يعد الشاعر ابن الحداد الأندلسي الشمس دلالة واضحة على اللون الأصفر حيث ذكره في البيت يمدح فيه المعتصم، حيث يقول إن المعتصم يشع نوره هدى على العالمين فيسابق الشمس وهي في كامل شروقها، وهنا يقابل بين (ظلماء) و(نور).

الدلالة اللونية وجماليات الصورة والايقاع

اولاً:جماليات الصورة ودلالتها اللونية:

أ- الصورة البيانية:

التشبيه

التشبيه يحسن الشعر ويحليه، ويبعث فيه السحر، وينشط الفكر، ويجعل البعيد قريبا، والغامض واضحاً جلياً، فالتشبيه اشتراك شيئين في صفة واحدة أو عدة صفات سواء أكان هذا الاشتراك مادياً أم معنوياً. كتشبيه الخد بالورد باعتبار اللون , والمعنوي : كتشبيه الرجل الكريم بالبحر , فالتشبيه إذاً : "صفة الشيء بما قاربه وشاكله , من جهة واحدة أو جهات كثيرة , لا من جميع جهاته , لأنه لو ناسبه مناسبه كليه لكان إياه , ألا ترى أن قولهم (خد كالورد) إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها , لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة وكذلك قولهم (فلان كالبحر , وكالليث) إنما يريدون كالبحر سماحه وعلماً , وكالليث شجاعة وقوه , ولا يريدون ملوحة البحر, ولا شتامة الليث وزهومته " (القزويني، صفحة 122).

من صور التشبيه عند ابن الحداد ما كان بناؤها يقوم على طرفين ماديين فعندما يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 242):

وفي الغُصْنِ الرَّطْيبِ وفي النـ نَـقَـا المُرْتَّجِّ عطفاكِ
وعنـد الـروضِ خـداكـ ومـن رَبَّـاه ريِّـاكِ

ففي صورة التشبيه في البيتين نجده يرسم صوره بين (الغصن الرطيب) و (النقا المرتج) وبين (الروض) و (خداك) حيث يشبه قدها بالغصن وقفاها بالنقا أي الكثب من الرمل وقد كانت هذه عادة الشعراء في طرق مثل هذه الصورة من التشبيه.

لوصف قد المحبوبة وجسمها، وقد اعتمد الشاعر على التشبيه، حيث شبه خديها المتوردين (بورد الروض) في النضارة والطراوة والنداوة. ومعنى النقا هنا الكثيب من الرمل، وعطفاك: جانباك، ومنها أيضا هذه الصورة (ديوان ابن الحداد، صفحة 208):

وسَاجِعَةِ الأطيارِ تَشْدُوْ كَأنَّها فَتَاةٌ لها الأوراقُ حُجْبٌ وأستارُ

فالشاعر هنا ينظر الى صوره مرئية، فالتشبيه التمثيلي هنا اعتمد على المقابلة والاستنتاج وغاية الشاعر هنا أنه أراد أن يذكر (ساجعة الأطيار)، وهي التي تذكره بصاحبته تشدو خجلاً وحياءً.

الاستعارة:

تعتبر الاستعارة من أعظم أدوات رسم الصورة الشعرية لأنها قادرة على تصوير الأحاسيس الفائرة وانتشالها وتجسيدها تجسيداً يكشف عن ماهيتها وكنهها. ويرى كثير من النقاد أنها من أهم الوسائل للحكم على شاعرية الشاعر ((والاستعارة في اللغة)) من قولهم استعار المال اذ طلبه عارية , وفي ((الاصطلاح هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له , لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول والمعنى المستعمل فيه , مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي , والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصراً لكنها أبلغ منه كقولك رأيت اسداً في المعركة، وأصلها رأيت رجلاً كالأسد في المعركة فحذف المشبه رجلاً , والأداة الكاف , ووجه الشبه الشجاعة وألحقته بقرينة المعركة , لتدل على أنك تريد الرجل الشجاع)) (الهاشمي، 2017، صفحة 258) قال عبد القاهر الجرجاني: ((اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين الوضع، ثم يستعمله الشاعر أو غيره في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقله غير لازم، فيكون هناك كالعارية)) (الجرجاني، صفحة 30) وفي شعر ابن الحداد أبيات في الاستعارة كقوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 237):

بِخَافِقَةِ القُرْطَيْنِ قَلْبُكَ خافِقُ وعن خَرَسِ القُلْبَيْنِ دَمْعُكَ ناطِقُ
وفي مَشْرِقِ الصُّدْغَيْنِ لِلبَدْرِ مَغْرِبٌ وَلِلْفِكْرِ حَالاتٌ وللعَيْنِ شارِقُ
وبين حَصَى الياقوتِ ماءُ وَسَامَةٍ مُحَلَّأَةً عَنْهُ الظِّباءُ السَّوابِقُ
وحَشْوُ قِباب الرَّقْم أَحْوَى مُقَرْطَقٌ كما آسُ رَوْضٍ عِطْفُهُ والقَرَاطِقُ
غزالٌ رَبِيْبٌ في المَقَاصِرِ كانِسٌ وخُوْطٌ رَطِيْبٌ بالغرائرِ وارِقُ

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن ابن الحداد نسج مجموعه رائعة من الصور البديعة في وصف محبوبته حيث شبه طلتها البهية، وجمال وجهها بمشرق البدر الأبيض المنير من خلف السحاب، وشبه أسنانها بحصى الياقوت، وريقتها بالماء العذب

الزلال ورادَ من ذلك كله أن ثغرها عذب زلال لكن هيهات أن يرتشف، ليعود في البيت الأخير إلى تشـــبيهها بـالغزال الكـانس في مكـانـه رقيق القد، ومـا نلاحظ في كل هذه التشـبيهات أن ابن الحداد دائما ما يأتي بالمشـبه به ويحذف المشـبه – محبوبته – وهذا من صور الاستعارة الجميلة البديعة.

الكناية:

الكنـاية فن من الفنون البلاغية اللطيفة، وعجـائب البديع الظريفة، فيهـا لطف في التعبير، ودقه في التفكير، وحســن في التصــوير، وإتقان في التحصــيل، ولا تخلو من البراعـة والإتقـان، والســـحر والافتنـان، وإعمـال الذهن وإحكـام العقل، وتبهر العيون وتقرع الآذان وتســمح للشــاعر بالتعويض عوضــاً عن التصــريح، وبالتلميح بدلاً من التوضـيح، وهي أثبت في ذهن السـامع، وأبلغ من الحقيقة، وأعمق أثراً، وأجمل سـحراً، وأبرع شعراً، وأكثر قبولاً، وأبعد تأويلاً (المطلب، 2007، صفحة 186 _ 187). ومن هذه الكنايات قوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 108):

أربرَب ُ بالكثيبِ الفردِ أم نشأ؟ ومعصرٌ في اللثام الوردِ أم رشأُ؟

في مطلع قصيدته الهمزية يتساءل عن عادة الشعراء الجاهليين، فيقول:

صحيح أنني أرى حسناوات يجتمعنَ في ذلك الكثيب؟ وسلبت عقلي , وأضعفت قواي , ومازلت أعشقها , وإن كانت تجاوبني بلغة الصد والهجر مشبهاً الحسناوات المسيحيات بالربرب , بجامع الحسن واتساع العيون , ومشبهاً محبوبته بالظبى الصغير , ويكني عن لبسها للثام باللثام الورد أي لثام وردي اللون كنايه عن صغر سن محبوبته , وأنها تضعها على فمها حياء , والربرب : القطيع من بقر الوحش أو الظباء,

ب- الصورة الحسية

وهي الصـورة التي تعتمد في تشـكيلها على حاسـة من الحواس الخمس , مما يعطي دلالات أقوى في التعبير عن الصفة التي يعمد الشـاعر إلى تصـويرها فيوظف الحواس لخدمة الخيال الشــعري مما يثري الصــورة ويمنحها حيوية , والمقصــود بالصــورة الحســية فنياً "تفكيك الواقع وتشــكيله في المخيلة ثانياً تشــكيلاً لحمته بالحواس الخمس وسـداه , وتأسـيسـاً على هذا المعنى ثمة الصـورة البصـرية والسـمعية والذوقية لأن الحواس منفذ للعقل تمده بالمعارف المختلفة , ويشرف من خلالها على دنيا الناس يلتقط منها ما يشاء " (العقيلي، 1431هـ ، صفحة 839)

الصورة البصرية ودلالتها اللونية:

تعد الصـورة البصـرية من أكثر أنواع الصـور الحسـية تمثيلاً في هذه الحقبة , وهو نمط تصـويري يعتمد على حاسـة البصـر في تأسيسـه من خلال وصـف الأشياء كما هي مدركة بوسـاطة هذه الحاسـة , وأهميتها تكمن في تأثرها الواضـح في المحيط الذي ينشأ فيه الشـــاعر , فهوه يحتك من خلاله بموضـــوع التجربة بشـــكل مباشـــر , لذلك يكون رصـــدها بواســطة هذه الحاســة هو رصـــد للقيمة الجمالية التي أثرت فيه وجعلته يعبر عنها داخل شـعره ومن ذلك قول ابن الحداد الأندلسـي في أخذ الصـورة البصـرية لفتك السيف بالبدن , ليجعل فتك الألحاظ بالقلب بدلها (ديوان ابن الحداد، صفحة 146):

أفاتكة َ الألحاظ، ناسكة َ الهوى ورعت ولكن عينك خاطئً
وآل الهوى جرحى ولكن دماؤهم دُمُوعٌ هوامٍ والجُرُوحُ مآقِيء
فكيف أرفي كلم طرفك في الحشا وليس لتمزيق المهند رافئُ؟

في هذه الأبيات يصـف الشـاعر نفسـه بأنه جريح من فتك ألحاظ نويرة محبوبته , لأن عيناها لها فعل مثل عمل السيف في البدن أثناء الحروب فهي تثخن فيه الجراح وتسيل الدماء وتودي به لحتفه فالشاعر أخذ هذه الصورة البصرية البديعة في الحرب ليجعلها بينه وبين محبوبته , والسلاح هو سلاح الألحاظ والنظرات الفاتنة, فآل الهوى جرحى دائماً وصـــورة الدماء هي دموعهم التي تجري على ماقيهم دائماً لطول فرقه وبعاد , وآنى له بدواء وقد حل به الداء الذي لا مفر منه , وهو بذلك يأخذ صـــورة الاســـتفهام الذي يفيد النفي , أي أنه ليس قادراً على إيلام ما فعلته عيني نويرة في نفسه .

الصورة الشمية:

قد يلجأ الشاعر الى توظيف الصورة الشمية , وهي " الصورة التي يشيع الشاعر في جوانبها رائحة تدرك بالشـــم والأنف , يمكن للمتلقي تخيلها وتمثلها عن طريق هذه الحاسة , لأن التصوير في الصورة يمنحها جمالاً يعطي الإحساس بالإنشاء , وهوه ما يزيد من أشواقها في النفس فالرائحة لها دور كبير في التخيل " (العقيلي، 1431هـــ ، صـفحة 948) , ومن هذه الصـورة الشـمية تضـمنت نباتات ذات رائحة عبقة , ومن خلال النظر في أشـعار الأندلسـيين نرى أن الشـاعر الأندلسـي قد لجأ في كثير من الأحيان إلى توظيف الصـورة الشـمية للتعبير عن خوالج أنفسـهم ولا سـيما أن الطبيعة الأندلسـية تميزت بالجمال والبهاء حتى وصـفت بأنها جنة الله في الأرض , ومن ذلك قول ابن الحداد (ديوان ابن الحداد، صفحة 270):

قد عطل الأزهار زاهرُ حسنهِ لا الوردُ ملتفتٌ ولا النسرينُ

النسرين هو ورد أبيض قوي الرائحة، يقول: إن قصر المعتصم من الداخل خالي من الأزهار الطبيعية، وإن حسنه يعوض ذلك فيسد مسدها حيث ذكرَ الشاعر نبات النسرين حيث تدل دلالة واضحة على توظيف حاسة الشم.

الصورة الذوقية:

وهي الصورة التي تعتمد على حاسة الذوق في الخيال الشعري , مما يعطيها طعماً ومذاقاً خاصاً يثريها حسيا , وهذا النمط من الصورة الشعرية يتكئ بطريقة أو بأخرى على حاسة الذوق في إيصال المعنى المطلوب , ذلك أن حاسة الذوق توحي بدلالات موحية وقوية في المعنى المطلوب أي أن الصورة المشكلة لا تؤدي إلى توظيف حالة الذوق وما بعد هذا الإحساس من لذة أو مرارة , ولكن المعنى يتشكل بواسطة قرائن مؤدية إلى معنى قريب من هذه الحالة الواقعية , ومن ذلك قول ابن الحداد (ديوان ابن الحداد، صفحة 193):

ما بالُ رِيْقَتِهِ في سَلْمِ مَبْسِمِهِ ... وواجبٌ أنْ تُذِيْبَ القَهْوَةُ البَرَدَا
أَعْدَى جَنَانِي فَحَاكَى طَرْفُهُ مَرَضاً ... وغَرَّهُ أَنْ يُحَاكِي خَصْرُهُ جَلَدَا
كأَنَّ كَفِّيَ في صَدْرِي يُصَافِحُهُ ... فما رَفَعْتُ يَداً إلاَّ وَضَعْتُ يَدَا
يا شَاكِيَ الرَّمَدِ الذي بِشَكَاتِهِ ... قد صارَ دَهْرِيَ فيه ليلةَ أَرْمَدَا

فالشاعر يذكر أن محبوبته برود الثنايا واضحة الثغر، لها ريقها كالخمر بعد امتزاجها ظمأت نفسه إليها ولكن هيهات أن تجود بها، وهكذا يتساءل الشاعر ما بال ريقتها استسلمت لمبسمها، لعلها تتحرر فتبرد ما تحركت له نفس الشاعر، ومع ذلك سيظل حيران أسير الوجد وقلبه مطوياً على جمراته، لا العناق سبيله ولا حتى ملامسته الكف للكف.

ثانياً: **جماليات المستوى الإيقاعي** :

1- الإيقاع الخارجي: -

ينصب اهتمامنا على تناول الوزن والقافية والروي , باعتبارهم النظام الصوتي الذي يتصف بالثبات النسبي , حيث يتألف هذا النظام من إيقاع التركيبات المقطعية للأصوات المختلفة , أي يمثل الوزن بعدا قاعدياً لقانون التكرار والتنويع في الانسجام, هذا النظام في واقعه هو مجموعة من التفعيلات التي يتشكل منها البيت الشعري , وتنتظم الكلمات في داخله , ليتألف بذلك الإطار الخارجي الذي يمنع

القصيدة من التبعثر , ويشكل منها نهراً يحدد بضفافه تجربة الشاعر ويعطيها ذاتها الفنية القصيدة بهذا تمثل تكاملاً إيقاعياً بشكلها الخارجي (عبد، صفحة 16) .

أ- الوزن:

هو صورة الإيقاع الخاصة، وهو القالب الذي يحتويه ولا يختلف عنه إلا في جوانب يسيرة تتعلق بالكم والسيطرة على التوقع من حيث هو بنية إيقاعية تحددها مجموعة من التفعيلات المتساوية تتردد على نحو منتظم وفق إطار خاص، مما يخلف موسيقى متناغمة ومنسجمة تجعله يمتلك طاقات موسيقية واسعة وخصائص جمالية متنوعة تعمل على جذب الانتباه وتحريك الحيوية في المشاعر , في الوزن سمات جمالية قابلة للتوظيف شعرياً, وهي عنصر إيقاعي خاص بالشعر والشاعر دون سواهما (الغذامي، 2006، صفحة 57).

لذلك اهتم ابن الحداد بالأوزان الشعرية ومن البحور التي استخدمها في شعره:

البحر الطويل:

هو أحد الأبحر الستة عشر الذي نظمت عليه العرب في جاهليتها، وسمي بذلك لأنه أتم البحور استعمالاً، إذ لا يدخله نهك ولا جزء ولا شطر وقيل لأنه أكثر البحور حروفاً ولذلك يرى الدارسون بعد استقراء لكلام العرب أنه ليس من بحور الشعر ما يضارعه شيوعاً، قد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي من هذا الوزن (انيس، موسيقى الشعر، 1953، صفحة 56) ، ومثال ذلك في شعر ابن الحداد على البحر الطويل حيث يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 143):

وفي الكِله الزرقاءِ مكلوءُ عزةَ تحفُّ به زرقُ العوالي الكوالئ

معنى البيت الكلة الزرقاء ستار لونه أزرق شديد الصفاء يحاط كالبيت يتوقى به من البعوض ويعرف بالناموسية، ففي أحد البيوت التي تملكها عزه يوجد ظبيه (محبوبته) لا تستطيع الخروج، لأن أمها عزه أحاطتها بجنود مدججين بزرق الرماح يتولون حراستها.

البحر البسيط:

هو أحد الأبحر الذي كثر النظم عليها في الشعر العربي ومن الأبنية الشريفة التي كثر التغني بها في أيام العرب، كما قال ابو الحسن الأخفش، لأنه بحر للتعبير عن معاني الحب والرقة (المقري ا.، 1430 -2009 ، صفحة 21). يقول ابن الحداد في البحر البسيط (ديوان ابن الحداد، صفحة 122):

والحين يظهر في وادي سوالفهم كما به في ثغور البيض منكما

يظهر اللون الأبيض بوضوح في البيت ومعناه (السيف)، معنى البيت: إن كتب التاريخ تدون العديد من هزائم أعداء المعتصم في وقائع كانت فيها نصوله تأكل من أجساد أعدائه.

البحر الكامل:

احتل هذا البحر الدرجة الرابعة من حيث كثرة التردد في الأشعار الوجدانية الأندلسية، حيث إن لهذا البحر ميداناً واسعاً فسيحاً وامتدادا متزناً يغطي مساحة واسعة من الإيقاع في جوهره لمختلف الكميات، ويرد تاماً ومجزوء (الباجلاني، 2013 – 1434 هـ,، صفحة 342) ، ولابن الحداد أبيات في البحر الكامل ومن ذلك قوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 219):

لو أستطيع فرشت كل مسالكي حدقاً وبيض سوالف ونحوراً

يقصد بالحدق جمع حدقة وهي السواد المستدير وسط العين أي المعنى لو أستطيع لفرشت المسالك عيوناً تترقب قدومك.

البحر الوافر:

هو من الأبحر الستة عشر التي ذكرها أبو الحسن الأخفش، ومن قبله الخليل ضمن البحور الخمسة عشر بحراً التي توصل إليها بالاستخراج من كلام العرب ويعد بحر الوافر من البحور البسيطة السداسية، حيث تتكرر فيه مفاعلتن ثلاث مرات في الشطر الأول، ومثلها في الشطر الثاني وقد استعمل مقطوفاً وتاماً (المقري ا.، صفحة 22) ، ولابن الحداد أبيات في البحر الوافر يعبر فيه عن وصفه لنويرة يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 242):

وعند الروض خداكِ ومن رياه رياك

فيصف محبوبته وبدل أن يشبه خديها الموردين بورد الروض، قلب التشبيه، وبدل ان يجعل محبوبته تستعير رياها من نور الروض، عكس الأمر.

البحر المتقارب:

سماه الخليل بن أحمد المتقارب، لتقارب أجزائه لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً،

أو لقرب أوتاده من أسبابه وأسبابه من أوتاده، إذ نجد بين كل وتدين سبباً خفيفاً واحداً (خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، صفحة 183 _ 184) ، فذكر ابن الحداد أبياتا في البحر المتقارب يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 195):

هو البدر والغصن خداً وقداً كما انه الظبي لحظاً وجيدا

شبه الشاعر وجه محبوبته بالبدر (من شدة البياض والنعومة)، وعينيها بعين الغزال الأدعج في سعتهما، وقدها بغصن بان في انعطافه وتأوده، وجيدها بجيد الظبي في حسن طوله.

البحر الخفيف:

سماه الخليل بن أحمد خفيفاً لأنه أخف السباعيات، أي لتوالي لفظ ثلاثة أسباب خفيفة فيه، لأن أول الوتد المفروق وثانيه، فيه لفظ سبب خفيف عقب سببين خفيفين، والأسباب أخف من الأوتاد (خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، صفحة 159), قال عنه سليمان البستاني: الخفيف أخف البحور على الطبع وأطلاها للسمع يشبه الوافر ليناً ولكنه أكثر سهوله وأقرب انسجاماً، وإذا جاد نظمه رأيته سهلاً ممتنعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور. وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره يصح للتصرف بجميع المعاني (تأليف هو ميروس، صفحة 1\93) ، لابن الحداد أبيات في البحر الخفيف يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 189):

حمم فوقها من البيض نارٌ كل من أرسلت عليه رمادٌ

نجد بروز اللونين الأبيض والرمادي في البحر الخفيف، فمعنى البيت: إذا ما اهتزت السيوف بأكف جند المعتصم سلت أرواح أعدائه، وأن النفط الذي كان يرمى به الأعداء حولهم إلى رماد

البحر السريع:

سماه الخليل السريع لأنه يسرع على اللسان , وفسر أهل العرض ذلك بسرعة النطق به , وردوا هذه السرعة إلى تفعيلاته التي يتكون في كل ثلاث منها وسبعة أسباب بموجب الدائرة , والأسباب كما هو معلوم أسرع من الأوتاد في النطق بها وفي تقطيعها , وقال عنه سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة : السريع بحر يتدفق سلاسة وعذوبة , يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف , ومع هذا فهو قليل جدا في الشعر الجاهلي (خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية ، صفحة 144) , ذكر ابن الحداد أبيات في البحر السريع يقول (ديوان ابن الحداد، صفحة 270):

كأنه إنسان عين به شاخصة الأبصار لا تنطبق

إنسان عين: المثال الذي يرى في سواد العين، حيث فتح عينه وجعل لا يطرف.

ب – القافية:

تعد القافية من أبرز وأهم أركان الوزن الشعري القديم، فهي تتبوأ منزلة ومكانة خاصة تجعلها تتحكم بجودة القصيدة على الرغم من أنها لا تبرز إلا في نهاية كل بيت، فحظ القافية وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت، وقد بذل الشعراء جهداً في انتقاء قوافيهم والاعتناء بها، وهذا ما يدعونا إلى تحديد معنييها اللغوي والاصطلاحي وهما كما يأتي:

أ- لغة: القافية مأخوذة من قفي، يقال قفي على أثر فلان أي اتبعه، ومنه قوله تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) (الحديد / 23.) ومنها قوافي الشعر لأن بعضها يتبع أثر بعض.

ب- اصطلاحاً: هي حسب ما ورد عن الخليل " من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن " (القيرواني، صفحة 151),نذكر بعض أبيات ابن الحداد الأندلسي قوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 264):

رويدك أيها الدمع الهتونُ فدون عيان من أهوى عيونُ
يظن بظاهري حلم وفهمٌ ودخلة باطني فيه جنونُ
إلى كم ذا أُستَتِرُ ما أُلاقي؟ وما اخفيه من شوقي يبينُ
نويرة بي نويرة لا سواها ولا شك فقد وضح اليقينُو

في هذه الأبيات نلحظ تحولات صوتية تراوحت بين ردفي (الواو - الياء) تلاءمت مع تحولات الشاعر النفسية التي يمتزج فيها البوح بالكتمان، والعقل بالوهم وهي معاني تطفح في سطح الأبيات.

جـ – الروي:

الروي ركن ضروري من أركان القافية , فهي مرهونة ببقائه , ولا تحدد قيمتها إلا به , لذلك لا نجد قصيدة من قصائد العرب في القديم تخلو منه , فهوه الصوت الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة , وبه تسمى فيقال دالية المعري , وسينية البحتري, وأهمية هذا العنصر الإيقاعي الحيوي لاتقف عند حدود القافية , إنما تتجاوزها لتشمل القصيدة برمتها لأن ذا العنصر يحافظ على تماسكها ووحدتها وهذا ما جعله " محط عناية الأول بين عناصر القافية عند الشعراء والنقاد جميعاً " (شوارب) , ولابن الحداد قصيدة طويلة في روي التاء يقول في بعضها (ديوان ابن الحداد، صفحة 191 _ 192):

خليلي من قيس بن عيلان خليا رِكَابي تُعَرِّجْ نَحْوَ مُنْعَرَجاتِها
بعيشكما ذات اليمين فإنني أَرَاحُ لِشَمِّ الرَّوْحِ مِنْ عقَداتِها
أما إنها الأعلام من هضباتها فكيف تَكُفُّ العَيْنُ عَنْ عَبَرَاتِها؟
ذراني وإذراء الدموع لعله يُسَكِّنُ ما قد هاجَ مِنْ ذُكُراتِها
فقد عبقت ريح النعامى كأنما سَلاَمُ سُلَيْمَى رَاحَ فِي نَفَحَاتِها

في هذه القصيدة يلجأ الشاعر إلى أخلاء طلباً للعون فيخاطب خليلين من قبيلته " آل قيس بن عيلان " ويخبرهما عن شوقه ورغبته في لقاء محبوبته نويرة التي رحلت عنه , فيذرف الدموع لهذا المصاب لعله يجد سبيلاً يخفف عنه المواجع (فكيف تكف العين

عبراتها) , ولعل روي التاء في هذه القصيدة يناسب حزن المواقف التي تؤنثه الكسرة التي لازمته لتتناسب مع معنى الهزيمة والانكسار , وهو ما جعل هذا الروي أكثر تميزاً وأبلغ عمقاً ودلالة لاتصاله بوصل الهاء الذي اكتسب في هذه القصيدة التي تنبض بوجدانية الإيقاع " وظيفه دلالية عميقه تتجاوز الصوت الظاهر والإيقاع الجميل العابر إلى برهنة على وجود شيء ما ذي شأن " (مرتاض، 2004، صفحة 160),

2- الإيقاع الداخلي: -

1- التكرار الكمي للصوت:

اهتم الشعراء بظاهرة التكرار اهتماماً بالغاً , ويعد الصوت أهم مقوم حظي بهذا الاهتمام , إذ ليس بإمكان الشاعر الولوج الى عالم نصه قبل الالتفات إلى هذا العنصر الفاعل في تكوين البنية الكلية , إذ تقوم الأصوات اللغوية على عملية إنتاج المقطع, الذي يؤدي بدوره إلى إنشاء الكلمة ومن ثم الجملة , ومن الجمل يولد النص , فقد اتسم شعر ابن الحداد على هذه الظاهرة الصوتية من خلال توظيفه لأصوات تفوق أخرى ساهمت في نسج شعره على الصعيدين الجمالي والإيحائي , ذلك أن التكرار ظاهرة تبدو في سطح البنية اللغوية وتؤول إلى إنتاج دلالة سياقية عميقة, وتقسم الأصوات في شعر ابن الحداد الى الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة (يونس، 2002، صفحة 86).

أ – الأصوات المجهورة:

اتسم شعر ابن الحداد بغلبة الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة بشكل لافت، ليبلغ عدد هذه الاصوات (2577), ولعل ذلك يتوافق مع المعاني التي يجهر بها الشاعر ويريد تبليغها، ومن صفات الصوت المجهور أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان (الجليل، الاصوات اللغوية، 1998، صفحة 118) ، وقد كان لصوت الدال حضوراً خاصاً عند ابن الحداد كقوله (ديوان ابن الحداد، صفحة 198 _ 199):

وقد جَرَحَتْ عَيْنَايَ صَفْحَةَ خَدِّهِ على خَطَإٍ فاختار قَتْلِي على عَمْدٍ
وآمُلُ من دَمعِي الإِنَاءَ قَلْبِهِ ولا أَثَرٌ لِلْغَيْثِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ
وإنّي بذاتِ الأَيْكِ أُسْعِدُ وُرْقَةُ فهل عند ذاتِ الطَّوْقِ ما لِلْهَوَى عِنْدِي

يؤدي صوت الدال في هذه الأبيات وظيفة صوتية جمالية، هدفها إحداث موسيقى تنسجم وطبيعة التجربة التي يعبر فيها الشاعر عن حالة نفسه الوجلة حيث يصف قساوة محبوبه لا تعرف الرقة إلى قلبها طريقاً فلم تتعظ من دموعه فيلين قلبها ويرحم، مما جعل هذه الأبيات تصطبغ بطابع شجي يقطر مأساة ونغمه حزينة وقد تتلاءم مع صوت الدال الذي يدل على الانكسار (بدوي، صفحة 41) .

ب- الأصوات المهموسة:

اعتنى ابن الحداد بالأصوات المهموسة فقد كان لتكرارها دور في تنشيط الجانب الجمالي من ناحية والتماسك النصي من ناحية أخرى, ومن صفات الهمس أن الوترين الصوتيين يرتخيان ولا يهتزان كما أنهما لا يحدثان أية تذبذبات وذلك للانفراج التام عن بعضهما أثناء اندفاع الهواء من الرئتين ومروره دون اعتراض (الجليل، الاصوات اللغوية ، صفحة 118) تعتبر التاء من الاصوات المهموسة فالأبن الحداد قصيدة تتألف من واحد وعشرون بيتاً يقول فيها (ديوان ابن الحداد، الصفحات 156 – 157) :

قَلْبِيَ في ذاتِ الاَثيْلاَتِ رَهِيْنُ لَوْعَاتٍ وَرَوْعاتِ
فَوَجِّهَا نَحْوَهُمُ إنَّهُمْ وإنْ بَغَوْا قِبْلَةُ بُغْياتي
وعَرِّسَا مِنْ عَقَداتِ اللِّوَى بالهَضَبَاتِ الزَّهَرِيَّاتِ

لم يقتصر صوت التاء في هذه الأبيات حين يكون روياً فحسب بل انتشر في الحشو كذلك لينسجم مع معنى اللوعة التي يوحي بها النص، أما من الناحية الإيقاعية فقد كان لامتداد الحركتين الطويلتين اللتين توسطهما التاء دور في إبراز الجانب الجمالي لهذا الصوت من خلال التجانس الصوتي المكثف في خواتم الأبيات.

حفل شعر ابن الحداد بمظاهر التجانس الصوتي، وأكثر الأصوات التي تتجسد من خلال هذه الظاهرة الإيقاعية هي الصوائت الطويلة أو ما يسمى بأصوات اللين، بأنواعها الثلاثة المعروفة (الألف، الواو، الياء)، واللين صفة تجمع بين السهولة واليسر في التحقيق الصوتي، لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها من الأصوات حين يخرج الصوت حراً طليقاً دون أن تعترضه حوائل. فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع (انيس، الاصوات اللغوية ، صفحة 26).

الخاتمة

وبعد، فقد حاولت الورقة البحثية أن تبرز الظواهر الفنية في شعر ابن الحداد، وهي ظاهرة استخدام الصورة اللونية في التعبير عن رؤيته الشعورية والفكرية، ولعل من الأهمية أن نشير في نهاية المطاف إلى أبرز النتائج وهي على النحو الاتي:

1- مما تقدم يمكن أن نستنتج إلى أن اللون له حضور فاعل في شعر ابن الحداد ووظفهُ توظيفاً جمالياً، وأن الألوان الأساسية كان متنوعاً، فقد استخدم الشاعر الألوان في أغراضهِ ليس صدفةً بل له ارتباط وثيق بعصرهِ ونفسيتهِ ولكل لون طابعه الجمالي الذي يستمد من بيئتهِ الجميلة.

2- استخدم اللون الأبيض في فخره بنفسهِ وانتصاراته، والأخضر في جمال الحبيبة لأن فيه المظهر الخادع يثير النفس ويبعث على الراحة والأزرق في الغزل

ومزجه بالحماسة وهو في هذا متأثر بالمشارقة، والأصفر دلالة التحول والكسل والأسمر مجسداً لوصف الرمح، ومزج الأزرق أحياناً بشدة العداوة، والأسود لجمال شعر المحبوبة، والبنفسجي كذلك.

3- لا يحمل اللون الواحد دلالة واحدة بل يحمل عدة دلالات في عدة أغراض.

يخضع اللون في القصيدة لسياق الشعر فتتغير دلالة هذا اللون حسب الغرض الشعري، فالأحمر يدل على الخجل وأحياناُ على الدم في المعركة والأبيض يدل على الكرم والعطاء وهكذا.

4- تضاد الألوان في قصيدة حققت قيمة جمالية معينة، كما غلبت الصورة

التشبيهية على كافة الصور في شعره، إذ أنه وظف هذا اللون في خدمة هذهِ الصورة، فضلا عن اهتمامه بالمستوى الإيقاعي، وهذا يدل دلاله واضحة على أن الشاعر ابن الحداد الأندلسي شاعر متميز. إن اللون يعتبر عنصرا مهما من عناصر تشكيل

الصورة الفنية وتضفي جمالاً على العمل الفني ولها دور في التأثير على القارئ.

شكر وتقدير

يزجي المؤلفان خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إقرار المصالح

يؤكد المؤلفان عدم وجود أي تضارب في المصالح.

المصادر والمراجع

Abdel Shafi, M. (n.d.). Diwan Imru Al-Qais. Dar Sader.

Abdul Jalil, A. (1998). Linguistic sounds (1st ed.). Dar Safa for Publishing and Distribution.

Abdul Malik, M. (2004). A deconstructive semiotic study of the poem Ain Laila (2nd ed.). Arab Cultural Center.

Abu Shawarib, M. M. (2005). Aesthetics of poetic text (1st ed.). Dar Al-Wafa.

Abu Yahya Muhammad Ibn Maan ibn Samadih. (n.d.). Almeria, Bijana and Al-Samadih from the lands of Andalusia. Ibn Khallikan, Deaths of Notables, Vol. 5.

Ahmad, M. F. (1984). Symbolism and symbolism in contemporary poetry (3rd ed.). Dar Al-Maarif.

Al Qalqashandi, A. A. (n.d.). Nihayat Al-Arab in knowing the genealogies of the Arabs.

Al-Ansari, H. b. T. (n.d.). Diwan Hassan bin Thabit Al-Ansari (A. Mahna, Ed.; 2nd ed.). Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.

Al-Aqili, F. (1431 AH). Bedouin trend (M. A. Musa, Ed.). Umm Al-Qura University.

Al-Baqillani, A. (2013). Aesthetic values in Andalusian poetry (1st ed.(.

Al-Douri, A. A. (2003). The connotations of color in Arab-Islamic art. Ministry of Culture.
Al-Isfahani, A. (1971). Khuraidat al-Qasr and Jaridat al-Asr (Part Two; A. Azarnoush, Ed.). Tunisian House for Publishing.
Al-Jurjani, A. A. (1409 AH). Secrets of rhetoric in the science of rhetoric. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.
Al-Khalil. Al-Ar'a Al-Khaliliya.
Al-Kutubi, M. b. S. (n.d.). Fawat Al-Wafiyat and the appendix to it (Vol. III; I. Abbas, Ed.). Dar Sader.
Al-Maqri Al-Tilimsani, A. b. M. (n.d.). Nafh Al-Tayeb fi Ghusn Al-Andalus Al-Ratib (Vol. 7.(
Al-Maqri, A. B. (2009). The book of prosody and rhymes (Y. A. Al-Mubarak, Ed.). Dar Al-Nisr for Universities.
Al-Maqri, A. I. (2009). Prosody and rhymes (Y. A. Al-Mubaraki, Ed.). Cairo University Publishing House.
Al-Qazwini, J. (n.d.). Al-Idah in the sciences of rhetoric (M. A. Khafagi, Ed.)
Al-Quraan, F. (2004). Rhetorical discourse techniques - Textual study. Modern Books World.
Al-Samarrai, I. (1980). The language of poetry between two generations (2nd ed.). Arab Institution for Studies and Publishing.
Al-Sayrafi, H. K. (n.d.). Diwan Al-Buhturi (2nd ed.). Dar Al-Maaref.
Al-Shaib, A. (n.d.). Style: An analytical rhetorical study of the origins of literary styles.
Al-Shakaa, M. (1983). Andalusian literature, its topics and arts (5th ed.). Dar Al-Ilm Al-Malayin.
Al-Shantrini, A. A. (1971). The treasure in the virtues of the people of the peninsula (Part One, Volume Two; A. Azarnoush, Ed.). Tunisian House for Publishing.
Al-Tarbouli, M. U. M. S. (2005). Place in Andalusian poetry in the Taifa era until the end of Arab rule (484-897). Library of Religious Culture.
Al-Tha'alibi, A. M. (n.d.). Jurisprudence of language and the secret of Arabic (Y. Al-Ayyubi, Ed.). Al-Maktaba Al-Asriya.
Cohen, J. (2000). Poetic theory. Dar Gharib.
Dahhan, M. (2001). Nizar Qabbani and the Palestinian cause. Dar Bisan.
Diab, M. H. (1985). Aesthetics of color in Arabic poetry. Fusul Magazine, Egyptian General Book Authority, 5.
Ibn Hazm, A. b. A. (1962). Jamharat Ansab al-Arab (A. M. Harun, Ed.). Dar al-Maaref.
Ibn Jinni, A. (1990). Characteristics (M. A. Al-Najjar, Ed.; 4th ed.). General Cultural Affairs House.
Ibn Manzur, A. A. (1996). Lisan Al-Arab (Vol. 5). Dar Sader.
Ibn Rasheeq Al-Qayrawani, I. A. (n.d.). Al-Umdah in the beauties of poetry and its etiquette (M. A. Atta, Ed.; Part One). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn Saeed Al-Maghribi. (n.d.). Morocco in the ornaments of Morocco (S. Dayf, Ed.). Dar Al-Maaref.
Kaheel, M. (2004). Idealistic tendency in Islamic and Umayyad poetry (1st ed.). Dar Al-Qalam Al-Arabi.
Khalousi, S. (n.d.). The art of poetic sectioning and rhyme (5th ed.). Al-Muthanna Library Publications.
Kishk, A. (2004). Rhyme is the crown of poetic rhythm. Dar Gharib.
Makki, B. K. (2013). The structure of Andalusian poetry (Ibn Farqun as a model) (1st ed.). Al-Najah Library.

Obeid, C., & Hamoud, M. (2013). Colors: Their role, classification, sources, symbolism, and connotations. University Foundation for Studies and Publishing.
Omar, A. M. (n.d.). Language and color. Dar Al-Maaref.
Qabawa, F. A. (1979). Poetry of Al-Akhtal (Vol. 1; 2nd ed.). Dar Afak.
Qudamah, A. b. J. (n.d.). Poetry criticism (A. M. Khafaji, Ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Raja Abdul. (n.d.). Musical innovation in modern Arabic poetry. Mansah Al-Maarif.
Tawil, Y. A. (n.d.). Diwan of Ibn al-Haddad al-Andalusi. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
The Holy Quran.
Yaqub, E. B. (2006). Encyclopedia of literature and Arab writers in their masterpieces (Andalusian era 1) (Part 9). Dar Nobles.
Younis, A. A. (2002). Aesthetics of linguistic sound (1st ed.). Dar Gharib.